في هذه المسيرة ، يكون اثبات الذات الاكثر صوابا بالنسبة للشعوب المضطهدة ، هو زحزحة كل كلية وكل عالمية ، ومعارضة كل شيطانية كونية بفكر ضروري للمغايرة · ان هذا الفكر هو قدرهم ·

من سيفكر بدلا عنهم ؟

بالتأكيد ليس المستشرق المعتاد على استنتاجات تركيبية مغلوطة حول الواحد والمتعدد ، الموحد والجمعي · اكثر من ذلك ، فانه لا شيء ينفي ، في الوقت الحاضر ، وجود تضامن بنيوي بين الايديولوجية الاستشراقية وبين الشكل الامبريالي للغرب ·· لا شيء يقول لنا بان المعرفة المطلقة قد كفت من ان تسكن الفكر الغربي ولو في فكره الاكثر حذرا ·

منذ اصدر بيرك كتابه « انعتاق العالم » سنة ١٩٦٤ ، وهو يلح على الموضوع الاثير لديه : كيف يمكن ، بالنسبة للعرب ، الحفاظ على هويتهم مع تصنيع مجتمعاتهم ؟ ·

ان بيرك يفكر على عدة مستويات · فالكلية التي يتخيلها ، هي تركيب « ساخن » لمختلف هذه المستويات · الا ان بلاغة كاتبنا نفسها تفقد اهميتها عندما تتوغل في متاهة تجزيئية محاصرة داخل سياج تجريبي · لقد امسك هيدجير ، بكيفية جميلة ، التقنية في جوهرها · فهي عنده ليست مستوى من بين مستويات اخرى · وهي ليست مجرد ازدهار للصناعة وللانماط العلمية ، ولا تضمن فقط توسع الاستهلاك · ان التقنية ، بما هي كذلك ، تضمن وتؤمن المصير الميتافيزيقي للغرب · ليس هناك موضع محقق للتحكم فيها · انها تؤوي خطرا بكرا للكينونة · لاجل ذلك ، لا يمكن القول بوجود : هوية للكينونة العربية من جهة ، وبملجأ نسبي للتقنية من جهة ثانية ·

كيف يتموضع انشقاق الكينونة التاريخية ؟

ان الاستلاب (في معناه عند ماركس) ، يعني الشيطانية المطلقة للانسان ، بالقدر الذي يجعل الاستغلال والفارق الطبقي هذا الانسان غريبا عن وجهه الخاص وعن محيطه الملتصق به · وبعبارة ادق ، فان الاستلاب يصير الانسان مستعصيا على ان يتعرف عليه ، ومن ثم يصبح خطيرا على المسيطر · والواقع ان صعوبة التعرف هذه على وجه الاخر ، قد انجزها بيرك بدون ان يعلم ، حين يقول : « لكن ، لكي يظل العرب ، مثلا ، هم انفسهم مع ارتيادهم للعالم الصناعي الذي يحاصرهم من الخارج ويستثمرهم من الداخل ، فانه يتحتم عليهم ان يطبعوا جميع طرائق حياتهم بنفس طابع ترقية حياتهم المادية · يتوجب ان تتخذ ثقافة الازهر مشروعا لها ، التوضيح الواعي المذهبي والاخلاقي الاجتماعي ، وذلك بنفس الوتيرة التي يتم بها تصنيع مصر » ص ٣٦ · ان هذا الربط اللاهوتي في غنى عن اي تعليق ·

□

المستشرق ، مترجم بالقدر الذي ينقل فيه اشياء من شاطىء لغوي الى شاطىء اخر · وحلمه هو ان يكون مزدوج اللغة : كيف يتجه نحو لغة الاخر ، وكيف يستقبلها في لغته الخاصة ؟

اننا نتحدث عن المستشرق الحريص على مصير الغرب ، والذي يمثل العرب ، في